الاستدلال اللغوي على بعض العقائد الإسلامية

في نصوص من القرآن الكريم

إعداد

م.د. أنوار عزيز الأسديّ

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

٢٠١٨م ١٤٣٩هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين أبي الزهراء محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد . عند إلقائي بعض محاضرات النحو العربي، ونتيجة لاستشهادي بالقرآن الكريم على بعض القضايا النحوية، عرضت لي بعض الآيات المباركة، التي دلت وبالاستدلال اللغوي على بعض العقائد الإسلامية. ومنه كانت الانطلاقة لكتابة هذا البحث، مستندة على الدليل اللغوي في إثبات هذه العقيدة أو تلك، بغية في توحيد هذه العقائد.

فمما لا يخفى عليكم أن المذاهب الإسلامية تختلف مع بعضها البعض في أصول الدين، ونقصد بذلك المسائل العقائدية. ناهيك عن فروعه، ونقصد بذلك المسائل الفقهية.

وعلى الرغم من أن العمدة في معرفة أصول الدين هو العقل، إلا إنني لجئت إلى الدليل اللغوي في طريقته باستنباط العقيدة الإسلامية من مصدرها الإلهي (القرآن الكريم) من باب الاستئناس وقوة التأييد كما لجأ إليه الفقهاء دليلاً رئيسياً في استنباط المسائل الفقهية كالوضوء، والصيام، وأحكام الرضاعة والقصاص، والجزية، وغيرها كثير. وكما أنه طريقة لدراسة النحو العربي بأبهى صوره التطبيقية، تلك التي تمس عقيدة الإنسان، لا بصورته المنهجية التعليمية البحت.

وعلم العقائد علم واسع بمعانيه، عظيم بمضامينه، لا يستطيع هذا البحث الإلمام بكل تفاصيله، فهو أصغر من أن يذكر ما ذكرته المجلدات، إلا إن ما يُسرتُ من إلقائه من محاضرات أوقفتني على محورين من هذا العلم، فبانت به بعض الواضحات. لذا ستكون خطة البحث بسيطة جداً، خالية من الفصول والمباحث، متضمنة محورين: الأول: صفات الصانع، والثاني: الإمامة. والذي بدوره تندرج تحته المحاور الآتية: الإمامة ولاية إلهية، الإمامة خلافة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مواصفات الإمام، ظهور الحجة (عج). وذلك كله مفصل بالاستشهاد الآيوي (القرآن الكريم)، وبالدليل اللغوي، يسبقهما تمهيد يتضمن تعريفاً بسيطاً بعلم العقائد.

التمهيد

قبل أن ندخل في مادة البحث ومضامينه، لابدّ من توضيح بسيط لمادة العقائد، سيّما وأنها تمثل الجزء الأول من أسم البحث، فما هو المقصود بالعقائد؟ ومع من يتعامل؟

جاءت لفظة العقائد من العَقْدُ، وهو ((الجمع بين أطراف الشئ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني، نحو: عقد البيع، والعهد وغيرهما، فيقال عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه، قال تعالى: ﴿ عَاقَدَتْ أيمانكم ﴾[1]، وقريء: (عَقَدَتْ أيمانكم)*. وقال جلَّ وعلا: ﴿ بما عقدتم الأيمان﴾[2]، وقرئ: (بما عَقَدْتُم الأيمان)، ومنه قيل: لفلان عقيدة))[3]. أي أن لفظ العقائد من الألفاظ التي انتقلت من التجسيد (المادي) إلى التجريد (المعنوي).

فنحن نلاحظ أن العقائد أو العقيدة في الاصطلاح لم تبتعد عن معناها الأصلي كثيراً فهي عبارة عن جمع بين طرفين، الأول: هو الإنسان في عقله، والطرف الثاني: يمثل أصول الدين ((وهي المعتقدات التي فرض الإسلام الإيمان بها، ومن لم يكن مؤمناً بها فليس بمسلم وليس بمؤمن، والمتكفل لبيان أصول الدين ودعمها بالبراهين والحجج العقلية والأدلة النقلية هو (علم الكلام)**))[4].

إلا أن العمدة في إثبات أصول الدين هو الأدلة العقلية، وأما الأدلة النقلية فنذكرها من باب الاستئناس والتأييد وزيادة البصيرة[5]. هذا يعني أن العقائد تتعامل مع العقل.

---

(1) النساء: ٣٣.

(2) المائدة: ٨٩.

* يبدو أن في كتاب الراغب الأصفهاني خلل طباعي، ذلك أن أصل الآية في سورة النساء في القرآن الكريم: ﴿ عقدتْ أيمانكم﴾، والقراءة هي: (عاقدت أيمانكم). أي أن ما ذكر في مفردات الراغب هو عكس الأصل فتنبّه.

(3) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٦-٥٧٧.

** ((نعرف علم الكلام بتعريفين: أحدهما منتزع من ملاحظة جملة ما يبحث في هذا العلم من الموضوعات. والثاني منتزع من ملاحظة الغاية المرجوة غالباً من البحث في هذا العلم. التعريف الأول: علم الكلام هو العلم الباحث في إثبات وجود خالق الكون، صفاته، وأفعاله ... ، التعريف الثاني: علم الكلام هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ودفع الشبه)).(بداية المعرفة :١٣-١٤).

(4) عقائد المؤمنين: ١٩.

(5) ينظر:عقائد المؤمنين: ١٣، ١٦.

وبما إن الإنسان ذو عقل، فلابد له من مكمل لعقله، والتي تروي عطش العقل هي العقائد الصحيحة، والسليمة من الشكوك، والأوهام، والشبهات، والانحراف. والمتبني لبيانها – كما قلنا – هو علم الكلام. من هنا يتضح أن العلم الذي يبحث في المسائل الاعتقادية يسمى بعلم الكلام، وهو أشهر أسمائه. أما علم أصول الدين، وعلم التوحيد والصفات، وعلم الفقه الأكبر، وعلم النظر والاستدلال، فإنما هي مسميات أخرى له. ولعل من أهم أسباب تسميته بعلم الكلام، هو لأن أشهر مسألة بحث فيها العلماء، واختلفت فيها آراء الباحثين في العقائد الإسلامية هي مسألة كونه تعالى متكلماً، ومعنى الكلام الإلهي[١]، والذي ستكون لنا وقفة عنده في هذا البحث.

وقد جعل العلماء محاور علم الكلام أو أصول الدين خمسة هي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد[٢]، إلا إن بعض العلماء جعل التوحيد والعدل تحت عنوان واحد ألا وهو: صفات الصانع[٣]، لاشتماله على كثير من صفات الله تعالى سيّما هاتين الصفتين.

أولا: صفات الصانع:

لقد ((قسم المتكلمون صفات الله تباك وتعالى على قسمين:

١. صفات ثبوتية.
٢. صفات سلبية.

أما الأولى . وتسمى أيضاً بالصفات الجمالية وصفات الإكرام . فهي الصفات المثبتة لجمال في الموصوف: ذاته وفعله. كالعلم، والقدرة، والحياة، والإدراك، والحكمة، والرزق، والصدق. وهي تنقسم على قسمين:

أ. صفات ثبوتية ذاتية: وهي الصفات المشيرة إلى كمال في ذات الموصوف، كالعلم، والقدرة.
ب. صفات ثبوتية فعلية: وهي الصفات المشيرة إلى كمال في فعل الموصوف، وتنتزع من ملاحظة أفعاله تعالى. كالتكلم، والحكمة.

---

[١] ينظر: بداية المعرفة: ٢٩-٣٤.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٥٩.
[٣] ينظر: بداية المعرفة: ٦.

وأما الثانية . وتسمى أيضاً بالجلالية . فهي الصفات التي يجل الخالق ويتنزه عن الاتصاف بها، وهي كل صفة تفيد نقصاً في ذاته، أو حاجة في فعله، كالشريك، والجسمية، والاتحاد. فيقال: إن الله تعالى يتصف بأنه لا شريك له، وليس بجسم، ولا متحداً مع غيره. وفي الذكر الحكيم إشارة إلى هذا التقسيم الثنائي في قوله تعالى: ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾[1]))[2].

وما سنبحث به من هذه الصفات هي صفة التكلم، وهي من الصفات الثبوتية الفعلية. إلا إنه قبل البحث في الآية التي جاءت فيها هذه الصفة نعرض اسم المصدر ضمن ما جاء في كتاب معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي إذ يقول: إن المصدر وضع للدلالة على الحدث، في حين وضع اسم المصدر للدلالة على الأسم، فالقَرض لما سلفت، أما الإقراض فمصدر أقرض وهو الحدث، ومثله التكليم فهو مصدر، والكلام اسم لما يخرج من الفم من اللفظ وكان مفيداً تاماً. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾[3]، إذ لا يصح أن نقول: (حتى يسمع تكليم الله أو تكلّم الله) فإن كلام الله القرآن، أما التكليم فهو الحدث، ولو كانا بمعنىً واحدٍ لصح أن يستعمل أحدهما مكان الآخر[4].

إلا إن كلامه هذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليماً﴾[5]، حيث نرى أن (تكليم) جاء هنا مفعول مطلق وهو مصدر دال على الحدث، وإذا أخذنا الآية بظاهرها دلت على أن الله تعالى متكلم، أي وصفناه بصفاتنا، وبالتالي نكون قد جسدناه، وهذا لا يجوز. إذن كيف سنوجه الآية القرآنية المباركة؟

---

[1] الرحمن: ٧٨.

[2] بداية المعرفة: ٩١-٩٢.

[3] التوبة: ٦.

[4] ينظر: معاني النحو: ٣/١٤٣-١٤٤.

[5] النساء: ١٦٤.

ووجدت حل هذا اللغز المحير في علم الأصول (العقائد) ، فقد قلنا في بداية كلامنا إن لله تعالى صفات ثبوتية فعلية، ومن هذه الصفات التكلم، أي أن كلامه تعالى هو فعل منه أوجده، قال أمير المؤمنين(عليه السلام): ((يقول لما أراد كونه: كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثّله))[١]، فكما يكون الله جلّ وعلا ((منعماً بنعمة توجد في غيره، ورازقاً برزق يوجد في غيره، فهكذا يكون متكلماً بإيجاد الكلام في غيره وليس من شرط الفاعل أن يحل عليه فعل))[٢].

من خلال ذلك يتضح لنا أن الله تعالى أوجد الكلام في الشجرة، وأن موسى (عليه السلام) سمع الكلام من الشجرة وما حولها[٣]، وهو عينه ما عبرت عنه سورة القصص إذ قال تعالى: ﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾[٤]. وهو ما يطلق عليه في كتب علوم القرآن[٥]، بالوحي من وراء حجاب وهو صورة من صور ثلاث للوحي ((فإذا قلنا إن الله تعالى يكلم أنبياءه، فمعناه أنه يوجد الكلام والأصوات المفهومة بكيفية معينة فيسمعها الأنبياء ويدركونها، وهذه الكيفية تكون بثلاثة أنحاء:

١. الوحي: وهو الإلقاء الخفي في نفوس الناس.
٢. من وراء حجاب: بأن يوجد الكلام في الموجودات فيُسمع الصوت ولا يُرى المتكلم، كما حصل لموسى (عليه السلام).
٣. إرسال ملك، وهو جبرائيل(عليه السلام) فيكلم النبي عن الله تعالى))[٦].

---

[١] نهج البلاغة: ٣٠٩، الخطبة: ١٨٦.
[٢] شرح الأصول الخمسة: ٥٢٨. (نقلاً عن: محاضرات في الإلهيات: ١١٨).
[٣] ينظر: علوم القرآن: ٢٦.
[٤] القصص: ٣٠.
[٥] ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٢٩٨/١-٣٠١، وعلوم القرآن: ٢٦، ودراسات في علوم القرآن: ١٣.
[٦] بداية المعرفة: ١٢٩.

وهذه الصور كلها جمعت في قوله عزّ من قال: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾[1]. وبذلك استنارت لنا الآية وأنارت ما حولنا، وعرفنا أنه يجوز مجئ المصدر الدال على الحدث ليصف ذات الله بأسلوب عقائدي عجيب يسحر الألباب.

ثانياً: الإمامة:

الإمامة من أصول الدين الإسلامي الحنيف، وهي الركيزة الثانية في الإسلام بعد النبوة، ونحن هنا لسنا بصدد بيان ذلك وأهميته بأسلوب المتكلمين من استخدام البراهين والحجج والأدلة العقلية والنقلية، وإنما سيكون طرحنا له بأسلوب نحوي شيق بعيد عن جدال المتكلمين. فالإمامة كمفردة عقائدية تدرس من جوانب عدة، وعلى الشكل الآتي:

١. الإمامة ولاية إلهية.
٢. الإمامة خلافة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
٣. مواصفات الإمام (عليه السلام).
٤. ظهور الحجة (عج).

١- الإمامة ولاية إلهية:

والمراد من إلهية: أنها بتفويض وتنصيص من الله تبارك وتعالى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[2]. فمن خلال هذه الآية نستطيع أن نثبت ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام)، بثلاثة أدلة لغوية:

---

[1] الشورى: ٥١.

[2] المائدة: ٥٥.

الأول: معنى الولاية من خلال علم الوجوه والنظائر، وهو من إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر ولا يوجد ذلك في كلام البشر[١]. والمقصود بعلم الوجوه والنظائر ((أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذا (النظائر) أسم للألفاظ، و(الوجوه) أسم للمعاني))[٢]. واعتماداً على هذا العلم فإن للولي عشرة معان: ابن العم، والمنعِم (المعتِق)، والمنعَم (المعتَق)، والأولى بالشيء (المتصرف)، والجار، والصهر، والحليف، والناصر، والمحب، والولي (ولي الصبي) وأصله في اللغة هو القرب[٣]. وقيل إن معناه في الآية أحد معنيين: الناصر، والمتصرف. ولا معنى للأول، لأن هذه الآية متخصصة ببعض الناس، بدلالة الحصر أو القصر بـ (إنما)، والنصرة عامة لا يختص شيء منها ببعض المؤمنين دون بعض لقوله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولى ببعض﴾[٤]، إذ لا يبقى لهذا الحصر شيء كما لا يخفى[٥]، فيكون معنى الولي إذن المتصرف في أمور الناس.

الثاني: القصر أو الحصر بـ (إنما)، فهي تفيد الحصر عند أهل اللغة[٦]، أي أن هناك محصورون في الآية الكريمة، أي مخصوصين بالولاية، وهم . بعد الله جلّ وعلا ورسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) . الذين آمنوا، فما الداعي من إيراد الأداة (إنما) إذا لم يكن هناك مخصوصين أو محصورين بالولاية في هذه الآية، إذن فالولاية ليست وصفاً ثابتاً لكل المؤمنين ((إذ لو كان المراد كل المؤمنين لكان الولي والمولى عليه واحداً، وذلك باطل))[٧].

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٨٤/١، والاتقان في علوم القرآن: ٩٧٦/٣.

[٢] نزهة الأعين النواظر: ٢/١-٣.

[٣] ينظر: الأجناس في كلام العرب: ٣٧. ومفردات ألفاظ القرآن: ٨٨٧، واتفاق المباني وافتراق المعاني: ١٣٨.

[٤] التوبة: ٧١.

[٥] ينظر: المراجعات: ١٥٨، والصوارم المهرقة: ١٦٢.

[٦] ينظر: الجنى الداني: ٣٩٥، وهمع الهوامع: ١٩١/٢-١٩٢.

[٧] الصوارم المهرقة: ١٦٣.

ويكون معنى الآية على ذلك: إن الذي يتولى أموركم والمتصرف فيها إنما هو الله عزّ مجلّ ورسوله وعلي، لأنه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات، ونقصد بذلك قوله تعالى: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[١]، فقد أجمع أعلام المفسرين على نزول هذه الآية في علي(عليه السلام)، لأنه أعطى سائلاً خاتمه وهو راكع في الصلاة[٢].

الثالث: وهو سؤال يطرح نفسه: لفظ (الذين آمنوا) للجمع فكيف أُطلق على المفرد؟ وجوابه يكون: إن من سنن العرب إيراد الواحد بلفظ الجمع[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد اللهِ﴾[٤]، وإنما أراد: المسجد الحرام. وقال جلّ وعلا: ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾[٥]. وكان القاتل واحداً. ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[٦]، وإنما كان نعيم ابن مسعود الأشجعي وحده بإجماع المفسرين[٧]. وهذا ما يسمى الآن في الدراسات الحديثة بالانزياح الخطابي عند العرب[٨].

---

[١] المائدة: ٥٥.

[٢] ينظر: تفسير السيوطي:٢/٢٩٣، تفسير الطبري:٦/٣٤٣-٣٤٤، وتفسير ابن كثير:٢/٧١، وتفسير الزمخشري:١/٦٢٤، وتفسير البيضاوي:٢/١٥٦، وتفسير الآلوسي:٦/١٦٧، وتفسير أبي السعود:٢/٥٩، وأسباب النزول:١٩٩.

[٣] ينظر: الخصائص: ٢/٤١١، وفقه اللغة وسر العربية: ٣٤٠.

[٤] التوبة: ١٧.

[٥] البقرة: ٧٢.

[٦] آل عمران: ١٧٣.

[٧] ينظر: تفسير الزمخشري:١/٤٨٠، وتفسير الآلوسي:٤/١٢٦، وتفسير أبي السعود:١/٤٤٨، وتفسير البيضاوي:٢/٥٤، وتفسير الخطيب الشربيني:١/٣٠٦، وتفسير الشنقيطي:١/٢٩٩، وتفسير الشوكاني:١/٥٠٣.

[٨] ينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب: ٨٩- ٩٢.

وإنما ((أطلق الله سبحانه وتعالى عليه . وهو مفرد . لفظ الناس، وهو للجماعة تعظيماً لشان الذين لم يصغوا الى قوله، ولم يعبأوا بإرجافه. وكان أبو سفيان أعطاه عشراً من الإبل على أن يثبّط المسلمين ويخوفهم من المشركين، ففعل. وكان مما قال لهم يومئذٍ: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فكره أكثر المسلمين الخروج بسبب إرجافه، لكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج في سبعين فارساً ورجعوا سالمين، فنزلت الآية ثناءً على السبعين الذين خرجوا معه (صلى الله عليه وآله وسلم)، غير مبالين بإرجاف من أرجف، وفي إطلاق لفظ الناس هنا على المفرد نكتة شريفة، ذلك أن الثناء على السبعين الذين خرجوا مع النبي يكون بسببها أبلغ مما لو قال: الذين قال لهم رجل إن الناس قد جمعوا لكم، كما لا يخفى))[1].

وقد اختلف المفسرون في نكتة إيراد المفرد بلفظ الجمع في الآية موضوع البحث، فقد ذهب الطبرسي في (مجمع البيان) الى أن النكتة في إطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين(عليه السلام) لتفخيمه وتعظيمه، وذلك من خلال قوله: إن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه[2].

أما الزمخشري في (كشافه) فذكر نكتة أخرى، حيث قال: ((فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي (رض) واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جئ به على لفظ الجمع ، وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير، وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها))[3].

---

[1] المراجعات: ١٥٩.

[2] ينظر: تفسير الطبرسي: ٢٩٨/٣.

[3] تفسير الزمخشري: ٦٢٤/١.

إلا إن للبحث نكتة بلاغية أخرى ألطف وأدق، ذلك أنه إنما أتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد إشارة إلى أن الأئمة الأحد عشر المعصومين من ذريته (عليهم السلام)، لاسيّما وأن هناك من يروي ((أنه قد وقعت هذه الكرامة [ونقصد بذلك إيتاء الزكاة حال الركوع] عن باقي الأئمة المعصومين(عليهم السلام)))[١].

٢- الإمامة خلافة عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم):

بما أن العمدة في إثبات أصول الدين هي الأدلة العقلية لذا فإن ((التحليل العقلي يقضي بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من صاحب الشريعة ليكمل المسيرة التي بدأها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)))[٢]، ذلك لأن الناس لا يكفيهم كتاب الله تعالى إلا مع الذي عنده علم الكتاب، كما إنه لا يجوز أن يترك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بعده سدىً إلى العباد غير المعصومين وغير المتكاملين، يميلون إلى ذاتهم، ويجرون الناس إلى قرصتهم[٣]. فالتاريخ يحدثنا أنه عندما سافر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المدينة في بعض مغازيه، استخلف علياً (عليه السلام) ليتولى أمور المسلمين[٤]، وهذا يدل على خلافته (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وزيادة على ذلك فإن الاستشهاد الآيوي يؤكد هذه الإمامة، ويثبّت تنصيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لابن عمه الإمام علي (عليه السلام) للخلافة والولية من بعده، قال تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون۞ الحق من ربك فلا تكن من الممترين۞ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٥].

---

[١] الصوارم المهرقة: ١٦١.

[٢] بداية المعرفة: ٢٥١.

[٣] ينظر: عقائد المؤمنين: ٤٨-٤٩.

[٤] ينظر: الصوارم المهرقة: ١٩٢.

[٥] آل عمران: ٥٩-٦١.

وكان سبب نزول هذه: أن نصارى نجران لما وفدوا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد فدعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي فقال: قل لهم: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[1].

ثم قال لهم (صلى الله عليه وآله وسلم): فباهلوني (الملاعنة) فإن كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: إن باهلنا بقومه باهلناه فإنه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله، فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق، فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقال النصارى: من هؤلاء، فقيل لهم: أهل بيته، فقالوا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجزية وانصرفوا[2].

بعد بيان سبب نزول هذه الآيات يتضح أن المراد بالأنفس في الآية المباركة هو الإمام علي (عليه السلام)، فقد جعله ((في موقع النفس من حيث المنزلة والمحبة والإعزاز، وهو علي (عليه السلام)، لأنه يمثل الصورة الحية الصادقة لكل الكمالات والتطلعات والسلوكيات والملكات التي أمثلها، لأنني ربيته وأنشأته منذ طفولته على صورتي في أخلاقي وروحياتي وأقوالي وأفعالي، فكان مني بمنزلة النفس من النفس، والذات من الذات، والروح من الروح، والعقل من العقل، وليس هناك غير علي (عليه السلام)، فإنه عاش معي كما لم يعش أحد غيره معي))[3]، أفمن أطلق عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفظ (نفسه) كثير عليه أن يكون إمام هذه الأمة.

---

[1] آل عمران: ٥٩.

[2] ينظر: أسباب النزول: ١٠٤-١٠٦، وتفسير الميزان: ١٠٢/٣.

[3] الزهراء القدوة: ١٣٦.

ثم إن إيراده بلفظ الجمع (أنفسنا) فقد اتضح أن من سنن العرب إيراد الواحد بلفظ الجمع، كما في الآية السابقة (الإمامة ولاية إلهية)[١]، ولإيراده بلفظ الجمع هنا نكتة بيانية هي تعظيماً لشأن الإمام علي (عليه السلام)، كما أطلق لفظ الأبناء على الحسنين (عليه السلام) والنساء على فاطمة (عليه السلام) تعظيماً لشأنهم[٢].

من هنا يتضح أن في الآية أدلة أخرى على حجية الحسن والحسين (عليهما السلام) وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فمن حاجك﴾[٣]، وإليك تفصيل ذلك:

إن التعبير بلفظ (أبناءنا) ويقصد بذلك الحسنين (عليه السلام) دل على أن ولد البنت ولداً على الحقيقة، يؤيده قوله تعالى: ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾[٤]، و((هنا إشارة علمية إذ أن كل امّ في الدنيا حملت بالإضافة إلى ذريتها، حملت بذرية ذريتها ستة أشهر، فالخلايا الجنسية الأولية التي خلقت في جنينها وهو في عمر ثلاثة أشهر تكونت من لحمها ودمها، لذلك فإن الله خلق من أزواجكم بنين وحفدة))[٥]، أي أن السيدة خديجة (عليه السلام) حملت بالحسنين (عليهما السلام) أيضاً فهم أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي أن أبناء البنت أبناء أيضاً، ولذا لا يصح أن يتزوج الرجل ابنة ابنته، لأن ابنة الأبنة بنت صلبية. أما قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهن أبناءُ الرجالِ الأباعدِ

---

[١] تُراجع صفحة: ٧.

[٢] ينظر: المراجعات: ١٥٩.

[٣] آل عمران: ٦١.

[٤] النحل: ٧٢.

[٥] رحلة مع اللغز القرآني: ٩٦.

فإنه من التقاليد والأعراف السيئة السائدة ولا يتحمل تبعتها المشرع الإسلامي. والدليل الآخر على أن ولد البنت ولداً على الحقيقة أيضاً قوله تعالى: ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين۞ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾[١]، فكما جعل عيسى (عليه السلام) من ذرية نوح عن طريق مريم (عليه السلام)، فكذلك ألحقهم الله تعالى بذراري النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمهم فاطمة (عليه السلام)، وفاطمة أقرب إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من مريم إلى إبراهيم (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢].

أما قوله تعالى: ﴿ ونساءنا﴾، ويعني بذلك السيدة فاطمة (عليه السلام)، فقد دلت على حجية سيدة نساء العالمين (عليه السلام)، وأنها أعلى مقاماً ودرجة من السيدة العذراء (عليه السلام)، إذ أن السيدة العذراء (عليه السلام) كانت تمتثل لأوامر ونواهي ابنها عيسى (عليه السلام) الحقيقية لا المجازية[٣]، مما يدل على أنه كان (عليه السلام) حجة عليها*، إذ قال تعالى حكاية عن عيسى(عليه السلام): ﴿ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾[٤]، ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تُساقط عليك رطباً جنياً﴾[٥].

٣- مواصفات الإمام:

وهي ((ما يلزم أن يتصف به الإمام من مؤهلات، وما يشترط أن يكون فيه من مواصفات، وهي بعبارة جامعة: كل الكمالات التي يشترط اتصاف النبي بها))[٦]، وأبرزها العصمة، والرسوخ في العلم.

---

[١] الأنعام: ٨٤-٨٥.

[٢] ينظر: تفسير الطباطبائي: ١٠٢/٣.

[٣] ينظر: سورة مريم (عليها السلام) دراسة لغوية، رسالة ماجستير: ١٨٠، ١٨٤.

* بما أننا استندنا في منهجية البحث الاعتماد على المقاييس النحوية دون المصادر النقلية، إلا أنه لا بأس من إيراد هذه الرواية: فالسيدة الزهراء(عليه السلام) كانت حجة على بنيها، كما في رواية للحسن العسكري (عليه السلام) إذ يقول: ((نحن حجج الله على خلقه، وجدتنا فاطمة حجة الله علينا)).(الأسرار الفاطمية:٦٩).

[٤] مريم: ٢٤.

[٥] مريم: ٢٦.

[٦] بداية المعرفة: ٢٤٤.

١- العصمة: ونعني بالعصمة ((أن يكون الإمام معصوماً من المعصية والخطأ كالنبي، فكيف يكون مبيناً لشريعة الرسول وهادياً للناس إلى الحق، حيث لا يؤمن . حينئذ . من كذبه أو خطئه ؟! وكيف يكون له على الناس حق الطاعة والتسليم التام))[١]، إذا لم يكن معصوماً من المعاصي صغيرها وكبيرها وآية التطهير لهي خير شاهد على أعلى درجات العصمة[٢]، وذلك في قوله عظمت آلاؤه: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[٣].

والرجس في اللغة: هو الشيء القذر، ويكون في الماديات، كرجاسة الخنزير، قال تعالى: ﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس﴾[٤]، أو في المعنويات[٥]، كالشرك والكفر وأثر العمل السيئ، كقوله جلّ وعلا: ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزدناهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾[٧].

والمراد بالرجس في الآية المباركة، هو الأمور المعنوية المتمثلة بكل الملكات الأخلاقية السلبية التي تمثل قذارة الروح، وكل الأخطاء الفكرية من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل، أو العمل السيء، مما يجعلها دالة على العصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من هذا الرجس[٨]. لكن هذه العصمة لا تحركهم تلقائياً وبغير اختيار، وإنما يتحركون بالطهر بوعي واختيار، ويبتعدون عن الشر بوعي واختيار[٩]، لأن العصمة ((ملكة يمتنع بها الإنسان عن اقتراف المعاصي وارتكاب الأخطاء))[١٠]، أي مع القدرة على الإتيان بها.

---

(١) المصدر نفسه: ٢٤٥.

(٢) ينظر: في رحاب حديث القلين: ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الأنعام: ١٤٥.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٤٢، وتفسير الطباطبائي: ١٦/٣٠٩-٣١٠.

(٦) التوبة: ١٢٥.

(٧) الأنعام: ١٢٥.

(٨) تفسير الطباطبائي: ١٦/٣١٠، والزهراء القدوة: ١٤٤.

(٩) ينظر: الزهراء القدوة: ١٦٤.

(١٠) بداية المعرفة: ٢١٧.

ذهب البعض إلى أن المراد من عصمتهم من الرجس وتطهيرهم، هو عصمتهم من الأمور المادية لا المعنوية، كالجنابة والحيض وغيرها. وقولهم هذا كما هو واضح غير جائز، لأنه يخرجهم عن جنس البشر. وإنما عصمتهم وقداستهم في المعنويات، وهي لا تخرجهم عن جنس البشر، فهم يملكون الأحاسيس والعواطف والغرائز كما يملكها سائر البشر، وإنما عظمتهم تكمن في أنهم حركوها في رضا الله، ولم تخرج غرائزهم عن حدود الله سبحانه.

فهم (عليهم السلام) يحملون خصائص سائر البشر كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشراً ويحمل خصائص الرجال، قال تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[1].

وإلا لو لم يكن رسول الله بشراً وكذلك الأنبياء والأئمة (عليهم جميعاً سلام الله) لما كان لهم فضل على سائر الناس، ولما كان هناك معنىً للاقتداء بهم، قال جلّ من قال: ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[2]، فعظمة هؤلاء وقيمتهم أنهم بشر وليسوا ملائكة، ولكن بإرادتهم وقداستهم أرفع شاناً عند الله من الملائكة[3].

والآن بعد أن عرفنا أن الرجس دلّ على عصمة أهل البيت وطهارتهم، فلابدّ أن نعرف من هم أهل البيت؟

---

[1] الكهف: ١١٠.

[2] الأنعام: ٩.

[3] ينظر: الزهراء القدوة: ١٧٢-١٧٣.

أهل البيت المصطلح عليهم في الآية المباركة هم: علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ذريته المعصومين(عليهم السلام)، أي أنها نزلت فيهم (عليهم السلام)[١]، فنزهتهم عن الرجس وطهرتهم منه. ودليل ذلك أن التعبير القرآني جاء بكلمة (عنكم) و (يطهركم)[٢]، فجاء الخطاب للرجال وهم علي والحسن والحسين وعمّ النساء، وهي فاطمة (عليه السلام) فقط ، وغلّب الرجال لأن تغليبهم من سنن العرب، قال تعالى: ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٣]،)، فعمّ هذا الخطاب الرجال والنساء[٤]، وهذا يعني أنه حتى لو كان عدد النسوة ألف امرأة وبينهن رجل واحد تأتي اللغة بجمع المذكر.

ولهذا السبب تركت الدراسة الاستدلال بنون النسوة في نفي نزول الآية بحق زوجات الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) . في أن الآية لو كانت نازلة بحقهن لاستمر سياق الخطاب بنون النسوة إلى آية التطهير، فقال(عنكن، ويطهركن)[٥] . لما تبيّن في قضية التغليب، أي تغليب الذكور على الإناث.

وقد يذهب البعض على أن الآية شاملة لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل البيت (عليه السلام)، مستدلين بقضية تغليب الذكور على الإناث في الخطاب، وبذلك يدخلنَ في العصمة، سيّما وإن هذه الآية واردة في سياق خطاب زوجات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً۞ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً۞ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً۞ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً۞ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً۞ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[٦].

---

[١] ينظر: أسباب النزول: ٣٥٤-٣٥٥.

[٢] ينظر: الصوارم المهرقة: ١٣٣.

[٣] الحج: ٧٨.

[٤] ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٤٦.

[٥] ينظر: الزهراء القدوة: ٤٣.

[٦] الأحزاب: ٢٨-٣٣.

وهذا الرأي مدفوع بخاتمة هذه الآيات ألا وهو قوله عزّ سلطانه: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، فمن ذهب عنه الرجس طهر وتمثل بالعصمة الإلهية كيف تناديه الآية: ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ﴾؟![1].

هذا من جانب ،ومن جانب آخر تقديم الألفاظ بعضها على بعض[2]،حيث أنه قال تعالى: ﴿ ليذهب عنكم الرجس﴾، ولم يقل: (ليذهب الرجس عنكم)، و(عن) هنا للمجاوزة والبعد[3]، وفي تقديمه دلالة على أن الرجس لم يكن فيهم أصلاً ليبعده عنهم، بعكس القول الثاني فالدلالة ستتغير، أي أن الرجس سيكون فيه متحققاً وموجوداً فيهم ثم أُبعد عنهم، فشتان بين المعنيين. إذن فقوله تعالى: ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾، دلالة على أنه لن ولم يكن فيهم رجس أصلاً ليذهبه الله تعالى عنهم ، وبالتالي فإنها تتناقض مع ما قاله الله جلّ وعلا في زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية: ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾.

فضلاً عن ذلك نلاحظ أن الله جلّ وعلا في آية التطهير قال: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾، فأورد لفظ (البيت) بصيغة (المفرد)، وعندما كان السياق يخص زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:﴿ وقرن في بيوتكن﴾، فجاء لفظ (بيوت) بصيغة (الجمع) فلو أراد بآية التطهير زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجمع لفظ (بيت) أيضاً على اعتبار أن لكل زوجة من زوجاته بيت (أي: غرفة)[4]، فلاحظ ذلك وتأمل.

---

[1] ينظر: في رحاب حديث الثقلين: ٢٠٥.

[2] ينظر: معترك الأقران: ١٣/٢.

[3] ينظر: الجنى الداني: ٢٤٥.

[4] هذا التحليل سمعته من أحد العلماء في إحدى القنوات الفضائية.

٣- الرسوخ في العلم: ونقصد بذلك ((الإحاطة بأصول الشريعة وفروعها، والمعرفة التامة بكتاب الله، وسنة نبيه، وقدرته على دفع الشبهات، وصيانة الدين، والحكم بالعدل))[١]، قال تعالى: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[٢].

والمحكم: هو ما يحتمل تأويلاً واحداً، والمتشابه: ما يحتمل أكثر من تأويل[٣]، وفي الآية إشارة ((إلى أن المعصومين هم الراسخون في العلم، وهم الذين يعلمون تأويل ما تشابه من النص القرآني الكريم))[٤]، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إنه لقرآن كريم۞ في كتاب مكنون۞ لا يمسه إلا المطهرون﴾[٥]، فالمطهرون الذين يمسون معاني القرآن الكريم هم عينهم المذكورون في آية التطهير، أي أن الراسخون في العلم، والمطهرون هم أهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) بداية المعرفة: ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: ١٤١.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٦.

(٥) الواقعة: ٧٧-٨٠.

* مما تجدر الإشارة إليه هو قضية الفروق الدلالية بين الألفاظ، أو ما يسمى بقضية الترادف، فالرأي الشائع والغالب عند العلماء هو القول بعدم وجود الترادف في القرآن الكريم، ذلك أنه يستعمل اللفظ في السياق بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر غيره. (ينظر: سورة مريم (عليه السلام) دراسة لغوية (رسالة ماجستير) : ١٠٣-١٠٥). هذا يعني إن (المس) في الآية الكريمة يختلف عن (اللمس) فلا يمكن أن يؤدي معناه.

أما دليل علمهم في تأويل القرآن الكريم، فلأنه تعالى قال: (لا يمسه) ولم يقل: (لا يلمسه)، فهناك فرق بين الكلمتين*، فالمس يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد، أي يقال في المعنويات، وقد يكون كاللمس فيكون معه إدراك بحاسة اللمس، أما اللمس فهو إدراك بحاسة اللمس، أي البشرة[١]. هذا يعني أن المس كما يكون في المعنويات وهو الأصل فيه يكون في الماديات، أما اللمس فيكون في الماديات فقط. أي أن المس أعم من اللمس فهو يشمله، ومعناه في الآية هو المس المعنوي، و((ليس هذا المس إلا نيل الفهم والعلم))[٢]، المتحقق بالطهارة المعنوية على يد أهل البيت (عليه السلام) فقط، وإلا فجميعنا نلمس القرآن الكريم إذا تحققت الطهارة المادية، وإلا فكيف سنوجه الآية المباركة إذا كانت الكلمتين بمعنىً واحد؟!، أي إذا كانت تنفي لمسنا أو مسنا للقرآن الكريم.

ففي الآية إذن دليل على أن المراد بالمطهرين هنا هي الطهارة المعنوية لا الطهارة المادية بدليل قوله(لا يمسه)، وبالتالي فهي تساند آية التطهير وتقويها، وترجح ما ذكره البحث في موضعه[٣].

وبعد أن وصل البحث إلى أن الراسخين في العلم هم أهل البيت (عليه السلام)، من خلال ربطه بين الآيات المباركة، لابدّ الآن من إثبات رسوخهم في علم تأويل المتشابه بدليل نحوي أيضاً كما هو دأب البحث في خطته.

أُختلف في المتشابه هل هو مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله، على قولين منشؤهما الاختلاف في (الواو) هل هي للعطف أم للاستئناف[٤] ؟.

الأول: رأى أن الوقف على (الراسخون في العلم)، و(الواو) للعطف، و(الراسخون) معطوف مرفوع على لفظ الجلالة الفاعل المرفوع عطف مفرد على مفرد، و(يقولون آمنا) في موقع الحال، والمعنى: (أنهم يعلمونه قائلين). وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصلاً عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم، وعلى هذا القول ليس هناك في القرآن آية استأثرها الله بعلمه.

---

[١] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٤٧، ٧٦٦-٧٦٧.

[٢] تفسير الطباطبائي: ٢٧/٣.

[٣] تراجع صفحة: ١٣.

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٧/٢-٤٨، والاتقان في علوم القرآن: ١٣٣٩/٤، وتأويل القرآن: ٧٥-٧٨.

والثاني: ذهب إلى أن الوقف على قوله: (إلاّ الله)، و(الواو) استئنافية، وجملة (الراسخون في العلم) مستأنفة وهي مبتدأ، وجملة (يقولون آمنا به) خبراً لها. وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه إلا الله، وهو ما استأثره الله سبحانه بعلمه.

ويرى البحث أن الرأي الأول هو الأوفق بالمقام، وذلك لأسباب:

١- ما خرجت به كتب اللغة أن الواو تكون للعطف، أي تفيد اشتراك المتعاطفين في اللفظ والمعنى، أو في الإعراب والحكم مطلقاً[١]، وهذا ما يسمى بعطف النسق[٢]، وفي الآية لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والراسخون معطوف عليه مرفوع بالواو والنون، لأنه جمع مذكر سالم[٣].

٢- وقد تكون الواو للاستئناف، فيكون ذلك حين تختلف الجملتان في الخبرية والانشائية، وهذا يعني كمال الانقطاع، ويكون الفصل يوهم خلاف المقصود، كما في قولك: (لا، ويرحمك الله)، لذا يؤتى بالواو لدفع توهم خلاف المراد، وتسمى الواو استئنافية هنا، لأن ما بعدها مستأنف، وقد لا يتصل بما قبلها إعراباً وعلاقة[٤].

فأنت تلاحظ أن الآية القرآنية: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾[٥] من بدايتها إلى نهايتها جملة خبرية فكيف يصح أن تكون الواو للاستئناف وشرطها مفقود، ثم أنه وإن صحت أن تكون الواو فهذا لا يعني أنه ليس هناك بينهما اتصالاً في الإعراب والعلاقة، لأن علماء اللغة والبيان قالوا قبل قليل: (قد لا يتصل بما قبلها إعراباً وعلاقة)، أي أنه قد يكون هناك اتصالاً بينهما.

---

[١] ينظر: الجنى الداني: ١٥٨، وينظر: المغني: ٣٤٣.

[٢] ينظر: همع الهوامع: ٥/ ٢٢٣.

[٣] ينظر: معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم: ٦٣.

[٤] ينظر: الجنى الداني: ١٦٣، والمغني: ٣٤٨.

[٥] آل عمران: ٧.

٣- كما أنه لو كانت الواو استئنافية ((وكان (الراسخون) مبتدأ، وجملة (يقولون آمنا به) خبراً، لكان حاصل هذا الخبر مما يستوي فيه سائر المسلمين الذين لا زيغ في قلوبهم، فلا يكون لتخصيص الراسخين فائدة ... تسميتهم راسخين تقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي فيه علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلمه الجميع. وما الرسوخ إلا المعرفة بتصاريف الكلام بقريحة معدّة))[١]. أي كيف يصفهم الله تعالى بالرسوخ في العلم إذا لم يعلموا المتشابه[٢].

وبذلك يثبت أن الراسخين في العلم . وهم أهل البيت(عليه السلام) . يعلمون المتشابه، وأنه ليس في القرآن الكريم آية استأثر الله تعالى بعلمها، يؤيده قوله جلّ وعلا: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[٣]. أما قولهم بأن المتشابه استأثره الله تعالى بعلمه فمردود بالقول نفسه للمولى سبحانه: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[٤].

٤- ظهور الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف):

ونقصد بذلك الإمام الثاني عشر من ولد الإمام الحسين(عليه السلام)، وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليهما السلام)، ولد سنة (٢٥٥هـ)، تسلم منصب الإمامة عام(٢٦٠هـ)، اضطرته ظروف الجور والظلم والمطاردة إلى الغيبة، وهو حي يرزق إلى الآن، وستستمر غيبته إلى أن تتحقق مقتضيات ظهوره[٥]. ولنا في إثبات ذلك دليلين آيويين قرآنيين يقويهما التحليل اللغوي:

---

(١) تأويل القرآن: ٧٦-٧٧.

(٢) ينظر: الحروف المقطعة في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة: ٤٠٠.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) النحل: ٨٩، وللاستزادة في تفصيل القول في ذلك ينظر: الحروف المقطعة في القرآن الكريم . مجلة كلية الآداب . جامعة البصرة: ٣٩٧.

(٥) ينظر: بداية المعرفة: ٢٦٠-٢٦١.

الدليل الأول: قوله عزّ من قال: ﴿ وما محمد إلا رسول﴾[1]، ففي هذه الآية دليل على وجود الإمام المهدي (عج)، واستمرار الرسالة على يديه بل على يد كل إنسان رسالي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإلا فما فائدة قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا اقتصرت الرسالة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يؤيد ذلك ما يأتي:

١- القصر بالنفي والاستثناء: أو ما يسمى بالاستثناء المفرغ ((إذ لا يكون إلا في الكلام المنفي غير التام، مشروطاً بحذف المستثنى منه، الذي يمكن تقديره، وتفريغه يكون للحصر والتوكيد [أي حصر المبتدأ وتوكيده] وحكم هذا النوع هو إعرابه حسب موقعه من جملته))[2]. ويكون هذا النوع من القصر لأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه، فيؤتى بالنفي والاستثناء لقوته في دفع الشك والإنكار[3].

٢- تأخير الخبر وجوباً، إذا كان المبتدأ محصوراً أو مقصوراً على الخبر[4]، فمن خلال حصر المبتدأ وتأخير الخبر ثبت أن المبتدأ وهو (محمد المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)) منحصر في صفة الرسالة فقط، أي التبليغ، ودليله قوله تعالى: ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[5] و﴿ ما على الرسول إلا البلاغ﴾[6]، لا أن الرسالة منحصرة فيه.

فلو قيل (ما رسول إلا محمد) بتقديم الخبر وحصره لفسد الكلام، لأن المعنى سيكون حينئذ: إن صفة الرسالة منحصرة في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط دون غيره ،مع أنها ليست كذلك بل شاملة له ولجميع الأنبياء والمرسلين السابقين ، ومستمرة في جميع الأوصياء والرساليين ، وباقية إلى زمن ظهور الإمام المهدي (عج).

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الاستثناء في القرآن الكريم: ١١.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ١٨٤.

(٤) ينظر: همع الهوامع: ٢/٣٤-٣٥.

(٥) المائدة: ٩٢.

(٦) المائدة: ٩٩، النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨.

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[1]، ((فقد فسرت هذه الآية كما [جاء] عن الإمام الصادق (عليه السلام) بخروج المهدي وتحقيق هذه الأشياء على يديه، وقد قيل: إن لسان هذه الآية عام يشير إلى تحقيق هذه الأمور على أيدي المسلمين . فأجابوا: إن القرآئن تفيد أن هذه الأمور لم تتحقق على النحو الذي ذكرته هذه الآية من مجيء الإسلام حتى يومنا هذا، ووعد الله لابدّ من تحقيقه*، وتلك قرينة على تحققه في المستقبل، يضاف إلى ذلك إن من أساليب القرآن الكريم أن يعبر عن الخاص بصيغة العام وعن المفرد بالجمع** في كثير من الموارد))[2].

ولذلك قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾[3]، ((إنها نزلت في أبي بكر بقرينة أنه هو الذي قاتل المرتدين، مع أن لسان الآية عام))[4].

---

[1] النور: ٥٥.

* ودليله قوله تعالى:﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون _ الروم: ٦﴾، (ينظر: أشعة من عقائد الإسلام:٣٩).

** ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٤٠.

[2] هوية التشيع: ١٨٢.

[3] المائدة: ٥٤.

[4] ينظر: تفسير الرازي: ٢٣/١٢.

الخاتمة

بحمد الله ملهم النفس، وبشفاعة نبيّه سيد الجن والإنس، وبأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، وصل البحث إلى نهاية الدرس. فبعد هذا السفر القصير في علم الكلام (علم عقائد الإسلام) نتيجة اقتصار البحث على بعض مفردات هذا العلم، بحكم استقراءه لبعض الآيات العقائدية، وصل البحث إلى غايات ونتائج بات على القلم أن يدونها بنقاط، وهي:

١- يحاول البحث في دراسته هذه أن يجذب أولئك الذين ينظرون إلى مادة اللغة كمادة معقدة جافة وبعيدة عن واقعهم وحياتهم الاجتماعية، بسبب تلك الدراسات المنهجية التعليمية البحت، والتي باتت تزخر بها الكتب المدرسية والأكاديمية على السواء.

٢- دراسة مادة اللغة العربية دراسة تطبيقية جميلة يسعى وراءها ويتطلع إليها المتمكن في اللغة ومن أوتي بسطة في العلم على حدٍ سواء، لكونها تمس عقيدتهما الإسلامية، وبذلك يكون البحث قد علم البسيط من حيث لا يعلم، وطوّر المتمكن من حيث يعلم.

٣- طرح المواضيع العقائدية بصورة مبسطة وخالية من التعقيد والغموض، بعيدة عن الجدل والمشادات الكلامية، وهذا كله بفضل اعتماده الدليل اللغوي الذي يكاد يكون واحداً عند الجميع.

٤- بعد أن اعتمدت الدراسة مادة اللغة كمصدر أساسي في إثبات العقيدة الإسلامية، وهي الخطة التي انتهجتْها في البحث كله، وجدتْ أن اللغة لا تكاد تقل أهمية عند المتكلمين في استنباط العقائد، شأنهم في ذلك شأن الفقهاء في استنباطهم للأحكام الفقهية.

٥- وأخيراً تأمل هذه الدراسة أن تجد من يوسعها ويتعمق في مفرداتها وتفاصيلها، لأنها تصلح . بإذنه تعالى . أن تكون مشروعاً للدكتوراه أو الماجستر، فكما تبيّن في المقدمة لا يستطيع هذا البحث الإلمام بكل تفاصيل علم الكلام أو العقائد، فهو أصغر من أن يذكر ما ذكرته الكتب المتخصصة بهذا العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ونسألك اللهمّ الثبات على كلمة الإخلاص، وفطرة الإسلام، ودين محمد عليه وعلى آله السلام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اتفاق المباني وافتراق المعاني . الدقيقي (سليمان بن بنين، ت:٦١٤هـ) . تحقيق: الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر. دار عمار. عمّان . ط/١. ١٩٨٥م.
- الإتقان في علوم القرآن . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت:٩١١هـ) . تحقيق: مركز الدراسات القرآنية . المملكة العربية السعودية . د.ط . د.ت.
- الأجناس في كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى . ابن سلام (أبو عبيد القاسم، ت:٢٢٤هـ) . دار الرائد العربي . بيروت . لبنان . ١٩٨٣م.
- أسباب النزول . النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت:٤٦٨هـ) . تدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان . دار الذخائر. بيروت . لبنلن . ط/٣ . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.
- الاستثناء في القرآن الكريم (نوعه، حكمه، إعرابه) . حسن طه الحسن . موصل . العراق . د.ط . ١٩٩٠م.
- الأسرار الفاطمية . محمد فاضل المسعودي . منشورات ذوي القربى . قم . إيران . ط/١ . ١٣٨٤هـ.
- أشعة من عقائد الإسلام (ضمن كتاب: رفع الشبهات عن الأنبياء) . السيد الشهيد الثاني محمد محمد صادق الصدر(قده) . قم . إيران . ط/١ . ٢٠٠٥م.
- الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب . الدكتور: عباس رشيد الددة . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . العراق . ط/١ . ٢٠٠٩م.
- بداية المعرفة . حسن مكي العاملي . منشورات ذوي القربى . قم . إيران . ط/٢ . ١٤٢٧هـ.
- البرهان في علوم القرآن . الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت:٧٩٤هـ) . تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية . بيروت . لبنان . د.ط . ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
- تأويل القرآن (النظرية والمعطيات) . السيد كمال الحيدري . دار فراقد . إيران . ط/١ .١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
- تفسير الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، ت:١٢٧٠هـ) . وتفسيره: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . تحقيق: السيد محمود شكري الآلوسي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . د.ط . د.ت.
- تفسير ابن كثير(عماد الدين أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، ٧٧٤هـ) . وتفسيره: تفسير القرآن

العظيم . تصحيح نخبة من العلماء . دار إحياء الكتب العربية . مصر . د.ط . د.ت.

- تفسير أبي السعود (العلامة أبي السعود، ت:٩٨٢هـ) . وتفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . دار الفكر . د.ط . د.ت..
- تفسير البيضاوي (ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت:٦٨٥هـ) . وتفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مؤسسة شعبان . بيروت . لبنان . د.ط . د.ت.
- تفسير الخطيب الشربيني (الشيخ محمد بن أحمد المصري، ت:٩٧٧هـ) . وتفسيره: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . تحقيق: إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.
- تفسير السيوطي . وتفسيره: الدر المنثور في التفسير بالمأثور . بيروت . لبنان . د.ط . د.ت.
- تفسير الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجكني) . وتفسيره: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . عالم الكتب . بيروت . لبنان . د.ط . د.ت.
- تفسير الشوكاني (الإمام محمد بن علي بن محمد، ت:١٣٥٠هـ) . وتفسيره: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير . صححه: أحمد عبد السلام . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م.
- تفسير الطباطبائي (السيد محمد حسين الطباطبائي) . وتفسيره: الميزان في تفسير القرآن . مؤسسة السيدة معصومة للطباعة والنشر . قم . إيران . ط/١ . ١٤٢٦هـ.
- تفسير الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، ت:٥٤٨هـ) . وتفسيره: مجمع البيان في تفسير القرآن . دار المرتضى . بيروت . لبنان . د.ط . ٢٠٠٦م.
- تفسير الطبري (الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت:٣١٠هـ) . وتفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تعليق: محمود شاكر الحرستاني . وتصحيح: علي عاشور . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.
- الجنى الداني في حروف المعاني . المرادي (الحسن بن قاسم، ت: ٧٤٩هـ) . تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . السيد أحمد الهاشمي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط/١٢ . د.ت.

- الخصائص . ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت: ٣٩٢هـ) . تحقيق: محمد علي النجار . دار الهدى . بيروت . لبنان . ط/٢ . ٢٠٠٠م.
- دراسات في علوم القرآن . الدكتور: محمود البستاني . مدينة العلم . قم . إيران . ط/١ . ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٧م.
- رحلة مع اللغز القرآني . الدكتورة: تحفة جعفر . مراجعة وتقديم: الشيخ محمد اليعقوبي . العراق . د.ط . د.ت.
- الزهراء القدوة السيد محمد حسين فضل الله . دار الملاك . د.م . ط/٣ . ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.
- الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة . التستري (السيد القاضي نور الله، ت:١٠١٩هـ – دار سلوني . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
- عقائد المؤمنين . السيد عادل العلوي . المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد . قم . إيران . ط/٢ . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
- علوم القرآن . السيد الشهيد محمد باقر الحكيم . مجمع الفكر الإسلامي . قم . إيران . ط/٨ . ١٤٢٨هـ.
- فقه اللغة وسر العربية . الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ت:٤٣٠هـ) . تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر . الطبعة الأخيرة . ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م.
- في رحاب حديث الثقلين . السيد عادل العلوي . المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد . قم . إيران . ط/١ . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.
- القواعد الأساسية للغة العربية . السيد أحمد الهاشمي . دار المعرفة . لبنان . بيروت . ط/١ . ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
- المراجعات . شرف الدين (السيد عبد الحسين بن يوسف بن جواد، ت:١٣٧٧هـ) . تحقيق: حسين الراضي . مؤسسة التبليغ العالمية . بيروت . لبنان . ط/٧ . ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.
- معاني النحو . الدكتور: فاضل صالح السامرائي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت:٩١١هـ) – تحقيق: علي محمد البجاوي . دار الفكر العربي . د.م . د.ط . ١٩٦٩م.

- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم . الدكتور محمد سيد طنطاوي . منشورات ذوي القربى . قم . إيران . ط/٤ . ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن . للراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) . تحقيق: صفوان عدنان داودي . منشورات ذوي القربى . قم . إيران . ط/٣ . ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، ت:٧٦١هـ) . تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله . دار الفكر . بيروت . لبنان . ط/١ . ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر . ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي، ت: ٥٩٧هـ) . تحقيق: السيدة مهر النساء . حيدر أباد . الدكن . الهند . ط/١ . ١٩٧٤م.
- نهج البلاغة . تحقيق: السيد هاشم الميلاني . إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية . العتبة العلوية المقدسة . النجف الأشرف . العراق . ١٤٣١هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت:٩١١هـ) . تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
- هوية التشيع . الدكتور أحمد الوائلي . دار الكتاب الإسلامي . قم . إيران . ط/٣ . ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

الرسائل الجامعية

- سورة مريم (عليها السلام) دراسة لغوية . أنوار عزيز جليل الأسدي . رسالة ماجستير . كلية التربية . جامعة البصرة . ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٦م.

البحوث والدراسات المنشورة

- مجلة كلية الآداب في جامعة البصرة . العدد/١٦ . ١٩٨٠م . الحروف المقطعة في القرآن الكريم . الدكتور: عبد الجبار حمد حسين.
- محاضرات في الإلهيات . الأستاذ جعفر السبحاني . httn.//www

الخلاصة (تترجم إلى الانكليزية)

أثناء إلقائي بعض محاضرات النحو العربي، ونتيجة لاستشهادي بالقرآن الكريم على بعض القواعد النحوية، عرضت لي بعض الآيات المباركة التي دلت وبالاستدلال اللغوي على بعض العقائد الإسلامية، ومنه كانت الانطلاقة لكتابة هذا البحث، مستندة على الدليل اللغوي في إثبات هذه العقيدة أو تلك، بغية في توحيد هذه العقائد.

وعلم العقائد علم واسع بمعانيه، عظيم بمضامينه، لا يستطيع أن يدعي هذا البحث الإلمام بكل تفاصيله، فهو أصغر من أن يذكر ما ذكرته المجلدات، إلا إن ما يُسرت من إلقائه من محاضرات أوقفتني على محورين من هذا العلم، فبانت فيه بعض الواضحات، لذا كانت خطة البحث بسيطة جداً، خالية من الفصول والمباحث، تتضمن محورين:

الأول: يبحث في صفات الصانع (الصفات الثبوتية والصفات السلبية لله جلّ وعلا). أما الثاني فهو الإمامة، وتندرج تحته المحاور الآتية: الإمامة ولاية إلهية ، الإمامة خلافة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مواصفات الإمام ، وظهور الحجة (عج) ، وكل ذلك مفصل بالاستشهاد الآيوي (القرآن الكريم) ، وبالدليل اللغوي.